من تراث الكوثري

٣

الحاوي

في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي رضي الله عنه

بقلم

صاحب الفضيلة مولانا الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً



١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

من تراث الكوثري
٣

الحاوي

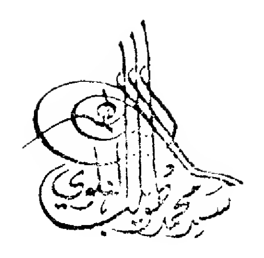
في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي
رضي الله عنه

بقلم

صاحب الفضيلة مولانا الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الاسلامية في الخلافة العثمانية سابقا



١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

xxxxxxxxxx

الحمد لله الذى رفع مقام العلماء العاملين ، فى الأولين والآخرين ، وشرف قدرهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وكافأهم مكافأة المحسنين ، بخدمتهم فى الدين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فان الامام أبا جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى رضى الله عنه من أعاظم المجتهدين فى الفقه الاسلامى ، وقد خلف مؤلفات عظيمة النفع للغاية، فى علوم الرواية والدراية، وقد جمع بين براعتين : البراعة فى علوم الحديث والبراعة فى الفقه وأصوله جمعاً قل من جمع بينهما جمعه فى علماء هذه الأمة ، كما يعترف بذلك من نهل من مناهل آثاره الفياضة ، فأحببت افراد ترجمته بنوع من الافاضة ، فى رسالة سميتها : (الحاوى فى سيرة الامام أبى جعفر الطحاوى) رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه ، عرفانا لجميله ، وقياما ببعض ما يجب فى تبجيله ، والله سبحانه ولى التوفيق ، والهادى الى أقوم طريق .

نسب الطحاوى وميلاده

عداده فى حجر الأزد من قبائل اليمن سكن أجداده مصر بعد الفتح الاسـلامى ، والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من أفخاذ قبيلة الأزد المعروفة ، ويقال للأزد هذه أزد الحجر تمييزاً لها من أزد شنوءة والأزد بفتح الهمزة وسـكون الزاى لها أفخاذ كثيرة شرحها فى كتب أنساب العرب ، وقد ساق مسلمة بن القاسم القرطبى نسب أبى جعفر الطحاوى فى كتابه المعروف بالصلة لكونه ذيلا لتاريخ البخارى الكبير فقال : هو (أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة

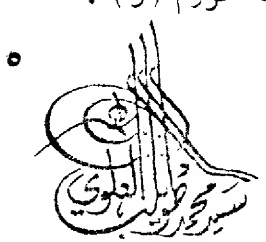
ابن سليم بن سليمان بن جواب الأزدى ثم الحجر المصرى الطحاوى الامام المحدث الفقيه الحنفى الحافظ أبو جعفر) .

ووقف الحافظ ابن عساكر فى سوق نسبه عند سليم . وابن خلكان عند عبد الملك . واختلفوا فى ميلاده ، فقال ابن عساكر نقلا عن ابن يونس أنه ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وعليه اقتصر الذهبى وأبو المحاسن لكن قال البدر العينى فى نخب الأفكار : (قال السمعانى : ولد الطحاوى سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح. وقال أبو سعيد بن يونس : قال الطحاوى ولدت فى سنة تسع وعشرين) ، وهذا يخالف ما حكاه ابن عساكر عن ابن يونس ، وتاريخ ابن يونس من التواريخ التى لم نظفر بها ولابد أن أحدهم وهم الا أن الثانى بخط المؤلف وقال ابن خلكان : وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين . وقال أبو سعد السمعانى : ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح ، وزاد غيره ، فقال : ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول) . وقال ابن كثير : (أبو جعفر الطحاوى ، نسبة الى قرية بصعيد مصر ، الفقيه الحنفى صاحب المصنفات المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة وهو ابن أخت المزنى ... وذكر أبو سعد السمعانى أنه ولد فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم) هكذا اقتصر ابن كثير على هذا الميلاد كما فعل ابن نقطة الحافظ فى « التقييد لمعرفة رواة المسانيد » وذكر أن مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، وقال البدر العينى : (فعلى هذا كان عمر الطحاوى حين مات أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح سبعاً وعشرين سنة لأن البخارى مات سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان عمره حين مات مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح اثنين وثلاثين سنة لأن مسلماً مات فى سنة احدى وستين ومائتين ، وشاركه الطحاوى فى روايته ـ عن بعض شيوخه ـ وكان عمره حين مات أبو داود صاحب السنن ستاً وأربعين سنة لأن أبا داود مات

فى سنة خمس وسبعين ومائتين وشاركه أيضاً فى روايته — عن بعض شيخوخه — وكان عمره حين مات أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى صاحب الجامع خمسين سنة ، لأن الترمذى مات فى سنه تسع وسبعين ومائتين ، وكان عمره حين مات أحمد بن شعيب بن على النسائى أربعاً وسبعين سنة لأن النسائى مات فى سنة ثلاثة وثلاثمائة وشاركه أيضاً فى روايته ، وروى الطحاوى عنه أيضاً ، وكان عمره حين مات محمد بن يزيد بن ماجه صاحب السنن أربعاً وأربعين سنة لأن ابن ماجه مات فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وشاركه أيضاً فى روايته — عن بعض شيوخه — وكان عمره حين مات الامام أحمد بن حنبل رحمه الله اثنتى عشرة سنة لأن أحمد مات سنة احدى وأربعين ومائتين ، وكان عمره حين مات يحيى بن معين أربع سنين ، لأن يحيى بن معين مات سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين ، وهذا كله على القول الصحيح أن مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، وكذا ذكر مولده الحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبى بكر بن نقطة البغدادى فى كتابه التقيير لمعرفة رواة المسانيد)[1] فى باب الأحمدين فى ترجمة أبى جعفر الطحاوى .

فهكذا كما رأيت لقد عاصر الطحاوى هؤلاء الأئمة الحفاظ الكبار وشارك بعضهم فى روايتهم ، فان من جملة مشايخ الطحاوى هارون بن سعيد الايلى . وقد روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه قال الحافظ عبد الغنى (المقدسى) فى الكمال فى ترجمة هارون بن سعيد : روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأبو حاتم ، ومن جملة مشايخه الربيع بن سليمان الجيزى . وقد روى عنه أبو داود والنسائى ، قال فى الكمال : الربيع بن سليمان الجيزى المصرى الأعرج روى عنه أبو داود والنسائى وعبد الله بن حمدان وأبو جعفر الطحاوى) ثم قال : (وستقف قلى مثل هذا كثيراً فى أثناء الكتاب عند ذكر مشايخ أبى جعفر الطحاوى الذين روى عنهم وكتب وحدث) .

(١) وهو من محفوظات مكتبة الأزهر ، وفيه خروم (ز) .



كثرة شيوخ الطحاوى فى العلم

وكثرة تلاميذه والرواة عنه

وقد جمع مشايخ الطحاوى فى جزء واحد عبد العزيز بن أبى طاهر التميمى ، فمن شيوخه خاله المزنى وقد سمع منه كثيراً وروى عنه سنن الشافعى ، قال ابن يونس سمع الطحاوى من خاله المزنى كثيراً وروى عنه مسند الشافعى ، قال العينى : قلت وروايته عنه كثيرة فى تصانيفه . ولا سيما فى معانى الآثار وأن غالب من يروى مسند الشافعى الى يومنا هذا يروون عن طريقه . أ هـ . أقول ان الأحاديث المروية عن الشافعى بطريق الطحاوى هى من جمع الطحاوى من مسموعاته من المزنى عن الشافعى رضى الله عنه فيعرف هذا المجموع بسنن الشافعى وسنن الطحاوى وله نسخ فى غاية الصحة وعليها خطوط التسميع طبقة فطبقة منها النسخة المحفوظة فى مكتبة أيا صوفيا بالآستانة ، والنسخة المطبوعة جيدة أيضاً الا أن ما جمعه ابن مطر النيسابورى من مسموعاته من أبى العباس الأصم صاحب الربيع المرادى عن الربيع عن الشافعى مما هو مسموعه فى كتاب الأم ففى حاجة ماسة الى التهذيب والاصلاح ، فقام بذلك الحافظ محمد عابد السندى فى كتابه (ترتيب مسند الشافعى) حيث رتبه وحذف المكرر منه فأصبح هذا العمل منه نافعاً والله سبحانه يكافئه على هذا ، فنتمنى أن يقوم بعض أهل الشأن بنشر هذا المسند المرتب المهذب ليعم نفعه ، لأن ما سبق طبعه من مسند الشافعى من رواية أبى العباس الأصم فى الهند ومصر لا يخلو من أغلاط فظيعة . وقال ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة الطحاوى : سمع هارون بن سعيد الايلى ، وأبا شريح محمد بن زكريا كاتب العمرى وأبا عثمان سعيد بن بشر بن مروان الرقى ، والربيع بن سليمان الجيزى ، وأبا الحارث أحمد ابن سعيد الفهرى ، وعلى بن معبد بن نوح ، وعيسى بن ابراهيم الغافقى ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأبا قرة محمد بن حميد الرعينى ، ومالك بن

عبد الله التجيبي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وابراهيم بن منقذ الخولاني ، وابراهيم بن مرزوق ، وبحر بن نصر الخولاني ، وسليمان بن شعيب الكيساني وجماعة غير من سميت . وقال ابن عساكر في ترجمة النسائي : ان الطحاوي روى عن النسائي ، وقال أبو سعيد بن يونس : سمع الطحاوي الحديث من خلق من المصريين والغرباء القادمين الى مصر ، منهم : سليمان بن شعيب الكيساني ، وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، وقال البدر العيني : شارك فيه مسلما وغيره وقال عبد الغنى في الكمال : يونس بن عبد الأعلى الصدفي أبو موسى المصري روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وابنه عبد الرحمن ومسلم والنسائي وابن ماجه . وروى عن الطحاوي خلق كثير وقد أفرد بعض أهل العلم ، الذين رووا عنه بالتأليف في جزء ، فمن أخذ عنه أبو الحسن علي بن أحمد الطحاوي ، وأبو محمد عبد العزيز بن محمد التميمي الجوهري قاضي الصعيد ، وأبو بكر مكي بن أحمد بن سعدوية البردعي ، وأبو القاسم مسلمة بن القاسم بن ابراهيم القرطبي ، وأبو القاسم عبيد الله بن علي الداودي القاضي شيخ أهل الظاهر في عصره ، والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن أبو محمد المصري الفقيه ، وابن أبي العوام القاضي الكبير ، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخميمي ، وميمون بن حمزة العبيدلي ، ويوسف بن القاسم الميانجي ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج ، ومحمد بن بكر بن مطروح ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغاني الأنصاري القاضي ، وأبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر وغيرهم . وروى عنه من المشايخ الأجلاء الأثبات : الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني صاحب المعجم ، والحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصري صاحب التاريخ ، والحافظ المقيد أبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادي ، المعروف بغندر ، والحافظ أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي المقرىء — سمع منه كتاب معاني الآثار . وهو راويته في أسانيد الرواة على توالي الطبقات — والحافظ أحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادي المعروف بابن الخشاب ، والحافظ محمد



ابن المظفر بن موسى أبو الحسين البغدادى ـ سمع منه بمصر سنن الشافعي بروايته عن خاله اسماعيل بن يحيى المزنى ، كذا قال الحافظ ابن نقطة فيما ذكره البدر العينى .

***

سرد أسماء شيوخ الطحاوى
على ترتيب الحروف

(أ) : ابراهيم بن أبى داود البرلسى ، ابراهيم بن منقذ الخولانى ، ابراهيم بن محمد الصيرفى ، ابراهيم بن مرزوق البصرى ، ابراهيم بن على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ، ابراهيم بن أحمد بن مروان ، أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفى ، أحمد بن داود بن موسى السدوسى ، أحمد بن سهل الرازى ، أحمد بن أصرم المزنى ، أحمد بن مسعود المقدسى ، أحمد بن سعيد الفهرى ، أحمد بن محمد بن حماد أبو بشر الدولابى ، أحمد بن يوسف ، أحمد بن خالد بن يزيد الفارسى ، أحمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى ، أحمد بن حماد التجيبى ، أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، أحمد بن محمد بن سلام البغدادى ، أحمد بن محمد بن بشار ، أحمد بن خلف ، أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، أحمد بن شعيب النسائى ، أحمد بن عبد المؤمن المروزى ، أحمد بن أبى عمران موسى البغدادى ، اسحاق بن ابراهيم بن يونس البغدادى الوراق ، اسحاق بن اسماعيل الايلى ، اسحاق بن الحسن بن الحسين الطحان المروزى ، اسماعيل بن اسحاق بن سهل الكوفى ، اسماعيل بن حمدويه البكائى ، اسماعيل بن يحيى المزنى خاله .

(ب) : بحر بن نصر بن سابق الخولانى ، بكار بن قتيبة البصرى ، بكر بن ادريس بن الحجاج بن هارون الأزدى .

(ج) : جعفر بن سليمان بن محمد الهاشمى ، جعفر بن أحمد بن الوليد الأسلمى .

(ح) : الحجاج بن عمران المازني ، الحسن بن عبد الله بن منصور البالسي ، الحسن بن عبد الأعلى الصنعاني ، الحسن بن سعيد الأزدي ، الحسين بن نصر بن المبارك البغدادي ، حكيم بن سيف الرقي •

(ر) : الربيع بن سليمان الأزدي الجيزي ، الربيع بن سليمان المرادي ، روح بن الفرج أبو الزنباع •

(ز) : زكريا بن يحيى بن أبان •

(س) : سعيد بن بشر بن مروان الرقي ، سعيد بن سليمان الواسطي ، سليمان بن شعيب الكيساني •

(ص) : صالح بن حكيم التمار البصري ، صالح بن شعيب بن أبان البصري ، صالح بن عبد الرحمن الأنصاري •

(ط) : طاهر بن عمرو بن الربيع بن طارق •

(ع) : عبد الله بن محمد بن خشيش البصري ، عبد الله بن أبي داود ، عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي أبو زرعة ، عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبي مريم ، عبد الرحمن بن الجارود بن عبد الله بن زادان الكوفي ، عبد العزيز بن معاوية الغساني ، عبد الملك بن مروان الرقي ، عبد الله بن أحمد بن زكريا بن الحارث بن أبي ميسرة المكي ، عبد الغني ابن رفاعة اللخمي ، عبيد بن رجال المصري ، علي بن شيبة البصري ، علي بن معبد بن نوح ، علي بن سعيد بن بشر الرازي ، علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد ــ وبطريقه يروي قراءات عاصم والأعمش وحمزة والكسائي اجازة ــ علي بن أحمد بن سليمان ، علي بن الحسين ابن عبد الرحمن بن فهم ، علي بن زيد الفرائضي ، علي بن عبد الرحمن ابن محمد بن المغيرة المخزومي علان ، علي بن عبد الرحمن الأنصاري ، عمران بن موسى الطائي • عمر بن ابراهيم بن يحيى البغدادي ،



عيسى بن ابراهيم بن مثرود الغافقي ، عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي أبو خازم •

(ت) : فهد بن سليمان المكي •

(ق) : القاسم بن عبيد الله بن مهدى الأخميمى ، القاسم بن محمد ابن جعفر البصرى •

(ل) : الليث بن عبدة بن محمد المروزى •

(م) : محمد بن سليمان بن هشام الخزاز (اليشكرى) ، مبشر بن الحسن بن مبشر البصرى ، محمد بن على بن داود البغـدادى ، محمد بن عبد الله بن عبد الحكم • محمد بن سنان الشيزرى ، محمد بن خزيمة بن راشد الأسدي ، محمد بن جعفر الفريابي ، محمد بن عمرو ابن يونس الكوفى ، محمد بن حرملة ، محمد بن أحمد بن العبـاس الرازى اجازة ، محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادى ، محمد بن على ابن زيد المكى ، أبو بكر محمد بن ابراهيم بن جنادة البغدادى ، محمد بن حميد بن هشام أبو قرة الرعيني ، محمد بن أحمد الكوفى أبو العلاء ، محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ المكى ، محمد بن الحجاج بن سليمان الحضرمى ، محمد بن على بن داود البغدادى ، المطلب بن شعيب بن حبان الأزدى ، محمد بن زكريا كاتب العمرى ، محمد بن عبد الرحمن الهروى ، محمد بن ربيعة المكى ، موسى بن الحسن بن عبد الله المروزى السهيلى ، محمد بن العباس بن الربيع اللؤلؤى ، محمد بن عزيز الايلى ، محمد بن أحمد بن جعفر الكوفى ، محمد بن بحر بن مطير الواسطى ، محمد بن النعمان السبقطى ، محمد بن عبد الله بن ميمون البغدادى ، محمد بن هشام الشيزرى ، محمد بن حرب النسائى الحمصى ، محمد بن عيسى بن فليح الخزاعى ، محمد بن عيسى بن جابر الرشيدى ، محمد بن عمرو بن تمام الكلبى أبو الكردوس ، محمد بن زياد بن ريان الكلبى ، محمد بن

سليمان الباغندى . موسى بن عيسى المقرىء شيخه فى القراءات ، موسى ابن النعمان المكى ، محمد بن سلامة الطحاوى أبوه ، محمد بن عبد الله ابن عبد الجبار المرادى ، محمد بن أحمد بن جعفر الذهلى الكوفى ، محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، موسى بن الحسن البغدادى ، محمد ابن على بن يزيد المكى ، مالك بن عبد الله بن يوسف التجيبى ، محمد ابن رجال ، محمد بن على بن زيد الحلوانى ، محمد بن عبده المروزى ، مسعدة بن حازم ، موسى بن الحسن المروزى ، مالك بن يحيى الهمدانى ، محمد بن على بن محرز البغدادى ، محمد بن يحيى بن مطر البغدادى ، مصعب بن ابراهيم بن حمزة الزبيرى .

(ن) : نصر بن حرب المسمعى ، نصر بن مرزوق العتقى .

(و) : الوليد بن محمد التميمى أبو القاسم (ولاد) .

(هـ) : هارون بن كامل أبو موسى المصرى ، هارون بن محمد العسقلانى .

(ى) : يحيى بن عثمان بن صالح السهمى المصرى ، يحيى بن نصير ، يحيى بن اسماعيل البغدادى أبو زكريا ، يوسف بن يزيد ، يونس بن عبد الأعلى .

***

سرد أسماء بعض أصحاب الطحاوى

وقد ذكرت جملة صالحة من أصحاب أبى جعفر الطحاوى فيما سبق وهم فى غاية الكثرة ولا أريد اطالة الكلام هنا بسرد أسمائهم لقلة جدواها واكتفى بذكر بعضهم كنماذج فمنهم : أحمد بن ابراهيم بن حماد أبو عثمان قاضى مصر حفيد اسماعيل القاضى ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج ، وأحمد بن القاسم بن عبد الله البغدادى الحافظ ، المعروف بابن الخشاب وأحمد بن محمد بن منصور أبو بكر الأنصارى الدامغانى القاضى ،

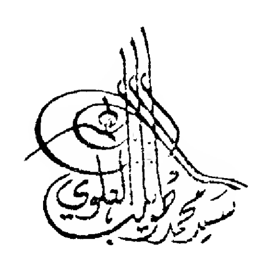
والحسن بن القاسم بن عبد الرحمن أبو محمد المصرى ، وسليمان بن أحمد ابن أيوب الطبرانى الحافظ صاحب المعاجم ، وعبد الله بن أحمد بن زبر أبو محمد القاضى والد أبى سليمان . وعبد الله بن حديد بن الشواء أبو محمد الأرزنى ، وعبد الله بن محمد بن أحمد أبو القاسم المعروف بابن أبى العوام الحافظ القاضى الكبير ، وعبد الرحمن بن اسحاق الجوهرى قاضى مصر ، وعبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو سعيد المصرى الحافظ المؤرخ وعبد العزيز بن محمد التميمى الجوهرى قاضى الصعيد ، وعبيد الله بن على الداودى أبو القاسم شيخ أهل الظاهر فى عصره ، وعلى بن أحمد بن محمد بن سلامة أبو الحسن الطحاوى ابنه ، وعلى بن الحسين بن حرب أبو عبيد قاضى مصر ، ومحمد بن أحمد الأخميمى أبو الحسن ، ومحمد بن ابراهيم بن على المقرىء أبو بكر الحافظ ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر أبو سليمان الحافظ ، ومحمد بن عبيدة أبو عبيد الله قاضى مصر ، ومحمد بن جعفر بن الحسين البغدادى المعروف بغندر الحافظ المفيد ، ومحمد بن عمر الترمذى أبو الفضل ، ومسلمة بن القاسم بن ابراهيم أبو القاسم القرطبى . ومكى بن أحمد بن سعدوية البردعى أبو بكر ، ومحمد بن المظفر بن موسى أبو الحسين البغدادى الحافظ ، وميمون بن حمزة العبيدلى ، وهشام ابن محمد بن أبى خليفة الرعينى وهشام بن محمد بن قرة المصرى ، ويوسف بن القاسم الميانجى أبو القاسم ، وفى هذا القدر كفاية فى سرد أسماء صحابه وتلاميذه كنماذج لأصحابه من حفاظ الحديث والفقهاء رضى الله عنهم أجمعين .

ثناء أهل العلم على الطحاوى

قال البدر العينى فى نخب الأفكار : أما الطحاوى فانه مجمع عليه فى ثقته وديانته وأمانته ، وفضيلته التامة ، ويده الطولى فى الحديث وعلله وناسخه ومنسوخه ، ولم يخلفه فى ذلك أحد ، ولقد أثنى عليه

السلف والخلف ، فقال أبو سعيد بن يونس فى ترجمته فى تاريخ العلماء المصريين : كان الطحاوى ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلا لم يخلف مثله ، وكذا قال الحافظ بن عساكر ، وقال مسلمة بن القاسم القرطبى فى الصلة كان ثقة جليل القدر فقيه البدن عالما باختلاف العلماء بصيرا بالتصنيف . ثم ذكر كلمة عن ابن الأحمر وسنتحدث عنها ، وقال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر : كان الطحاوى كوفى المذهب وكان عالماً بجميع مذاهب الفقهاء وفى تاج التراجم قال ابن عبد البر فى كتاب العلم : كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم ، مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء ، وقال الحافظ السمعانى : كان الطحاوى ثقة ثبتاً . وقال ابن الجوزى فى المنتظم : كان الطحاوى ثبتاً فهماً فقيهاً عاقلا من طحا قرية فى صعيد مصر وكذا قال سبطه فى مرآة الزمان ، ثم قال : واتفقوا على فضله وصدقه وزهده وورعه ، وقال الذهبى فى تاريخه الكبير : الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام ، وكان ثقة ثبتاً فقيها عاقلا ، وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ، وفى ترجمة الطحاوى : وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة . أ هـ . وقال الصلاح الصفدى فى الوافى : كان ثقة نبيلا ثبتاً فقيها عاقلا لم يخلف بعده مثله . أ هـ . وقال اليافعى : برع فى الفقه والحديث وصنف التصانيف المفيدة . أ هـ . وقال السيوطى : الامام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة وكان ثقة ثبتاً فقيها لم يخلف بعده أ هـ .

وقال البدر العينى بعد أن ذكر نصوص كثير ممن أثنوا على الطحاوى : (ولقد أثنى عليه كل من ذكره من أهل الحديث والتاريخ كالطبرانى وأبى بكر الخطيب وأبى عبد الله الحميدى والحافظ بن عساكر وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين كالحافظ أبى الحجاج المزى والحافظ الذهبى وعماد الدين بن كثير وغيرهم من أصحاب التصانيف ولا يشك عاقل منصف أن الطحاوى أثبت فى استنباط الأحكام من القرآن ومن الأحاديث النبوية ، وأقعد فى الفقه من غيره ممن عاصره سنا أو شاركه



رواية من أصحاب الصحاح والسنن لأن هذا انما يظهر بالنظر في كلامه وكلامهم • ومما يدل على ذلك ويقوى ما ادعيناه تصانيفه المفيدة الغزيرة في سائر الفنون من العلوم النقلية والعقلية ، وأما في رواية الحديث ومعرفة الرجال وكثرة الشيوخ فهو كما ترى امام عظيم ثبت ثقة حجة كالبخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والسنن • يدل على ذلك اتساع روايته ومشاركته فيها أئمة الحديث المشهورين كما ذكرناهم •

وأما تصانيفه فتصانيف حسنة كثيرة الفوائد ولا سيما كتاب معاني الآثار • فان الناظر فيه المنصف اذا تأمله يجده راجحاً على كثير من كتب الحديث المشهورة المقبولة ، ويظهر له رجحانه بالتأمل في كلامه وترتيبه ، ولا يشك في هذا الا جاهل أو معاند متعصب ، وأما رجحانه على نحو سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ونحوها فظاهر لا يشك فيه عاقل ، ولا يرتاب فيل الا جاهل ، وذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباطات ، واظهار وجوه المعارضات وتمييز النواسخ من المنسوخات ، ونحو ذلك • فهذه هي الأصل وعليها العمدة في معرفة الحديث ، والكتب المذكورة غير مشحونة بها كما ينبغي • كما ترى ذلك ونعاينه • فان ادعى المدعي كونه مرجوحا بوجود بعض الضعفاء والأسقاط في رجاله فيجاب بأن السنن المذكورة ملأى بمثل ذلك • بل وقد قيل أنها لا تخلو فن بعض أحاديث باطلة وأحاديث موضوعة • وأما الأحاديث الضعيفة فكثيرة جداً • وأما سنن الدارقطني أو الدارمي أو البيهقي ونحوها فلا تقارب خطوة ولا تداني حقوة • ولا هي مما تجري معه في الميدان • ولا مما تعادل معه في كفتي الميزان • ولم يظهر رجحان هذا الكتاب عند كثير من الناس لكونه كنزاً مخفياً ومعدناً مخبياً • لم يصادفه من يستخرج ما فيه من العجائب • ولم يعثر عليه من يستنبط ما فيه من الغرائب • فلم يبرح الكمون والاختفاء • ولم يبرز على منصة الاجتلاء • حتى كاد أن تضيف شمسه الى الأفول ويدره الى التحول • وذلك لقصور فهم المتأخرين وتركهم

هذا الكتاب . واشتغالهم بما لا يفيد شيئا فى هذا الباب . مع استيلاء المخالفين المتعصبة على بقاع مناره . وتحامل الخصوم المعادية على اندراس معالمه وآثاره ، ولكن الله يحق الحق ويبطل الباطل حيث خلق أناســا قاموا بحقوقه وأحيــوا مواته ؛ وفضــوا على محاسن معالمه ما فاته : فظهر له الترجح على أمثاله ، والتفوق على أشكاله . آ هـ .

وتلك بعض ما قاله أعلام العلماء فى الثناء على الطحاوى الجدير بكل ثناء .

نشاة الطحاوى على مذهب خاله ثم انتقاله منه

أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى أفقه أصحاب الامام الشافعى وأحدهم ذكاء كان خال الطحاوى فأخذ يتفقه عليه فى نشأته ، فكلما تقدم فى الفقه كان يجد نفسه بين تدافع مد وجزر فى التأصيل والتفريع، وبين اقدام واحجام ، فى النقض والابرام ، فى قديم المســائل وحديثها ، وكان لا يجد عند خاله ما يشفى غلته فى بحوثه فأخذ يترصد ما يعمله خاله فى المسائل الخلافية ، فاذا هو كثير المطالعة لكتب أبى حنيفة فينفرد عن امامه منحازاً الى رأى أبى حنيفة فى كثير من مسائل ســجلها فى مختصره ، فأخذ يطلع على المنهج الفقهى عند أهل العراق فاجتذبه حتى أخذ يتفقه على أحمد بن أبى عمران القادم من العراق بعــد أن املى على رد بكار بن قتيبة على كتاب المزنى ؛ فأصبح فى عداد المتخيرين لهــذا المنهج نابذاً منهجه القديم فأثار ذلك بعض ضجة حيكت حولها حكايات ، فأسوقها مع ما لها وما عليها بمبلغ علمى فيختار القارىء ما يراه أقرب الى الصــحة من تلك الروايات . وأشــــهر تلك الروايات ما ذكره أبو اسحاق الشــيرازى الشــافعى فى طبقات الفقهاء واليك نصــه : (انتهت الى أبى جعفر — الطحاوى — رياســة أصــحاب أبى حنيفة بمصر ، أخذ العلم عن أبى جعفر أحمد بن أبى عمران وأبى خازم وغيرهما وكان شــافعياً يقرأ على المزنى ، فقال له يوما : والله لا جاء منك شىء .

فغضب من ذلك وانتقل الى ابن أبى عمران ، فلمـا صنف مختصره ، قال : رحم الله أبا ابراهيم ، لو كان حيـاً لكفر عن يمينه) . وهذا خبر خال عن السـند[1] و (لا جاء) بصيغة المـاضى ، والحلف على المـاضى غموس أو لغو لا يوجب الكفارة فى مذهب المزنى و (شيء) بمعنى شيء يعتد به فى باب العلم بقرينة المقام . والطحاوى أعلى مقاما فى العلم من أن يجهل حكم الحلف على المـاضى فى المذهبين فيكون مع الخبر ما يكذبه ، وأما رواية السلفى فى معجم شـيوخه عن أحمد ابن عبد المنعم الآمدى عن محمد بن على الدامغانى عن القدورى ، أن المزنى قال للطحاوى يوما : (والله لا أفلحت فغضب وانتقل من عنـده وتفقه على مذهب أبى حنيفة .. وكان يقـول : رحم الله أبا ابراهيم لو كان حيا ورآنى لكفر عن يمينه) فعلى صيغة المـاضى أيضا فلا يوجب الحلف على المـاضى الكفارة فى المذهبين على أن هذا الخبر مقطـوع للمفازة بين القدورى والطحاوى . وأما ما ذكره ابن عساكر فى تاريخه من قوله (وبلغنى أن سبب تركه لمذهب الشافعى أنه تكلم يوما بحضرة المزنى فى مسـألة ، فقال له المزنى : والله لا تفلح أبداً . فغضب من قول المزنى وانقطع الى أبى جعفر بن أبى عمران وقال بقول أبى حنيفة حتى صار رأسا فيه فاجتاز بعد ذلك بقبر المزنى فقـال : يرحمك الله يا أبا ابراهيم لو كنت حيـا لكفرت عن يمينك) فحلف على المستقبل لكنه كلام لا سند له لأنه من بلاغاته كما ترى . وقال ابن عساكر : قرأت على أبى محمد السلمى عن عبد العزيز بن أحمد ، قال : قرأت على أبى الحسين على بن موسى بن الحسين السمسار ، قال : قال لنـا أبو سـليمان بن زبر قال : قال لى أبو جعفر الطحـاوى : (أول من كتبت عنه الحديث ، المزنى ، وأخذت بقول الشافعى ، فلما كان بعـد سنين قدم أحمد بن أبى عمران قاضيا على مصر فصحبته وأخذت بقوله .

---

(١) وهو مأخوذ من كلام الصيمرى ، يرويه عن أبى بكر محمد بن موسى الخوارزى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو لم يدرك زمن الطحاوى ولا عزا الى من أدرك ، فتكون هذه الحكاية من الحكايات المرسلة على عواهنها (ز) .

وكان يتفقه للكوفيين . وتركت قولى الأول فرأيت المزنى فى المنام . وهو يقول لى : يا أبا جعفر اغتصبك أبو جعفر يا أبا جعفر أغتصبك أبو جعفر) وليس فى هذا حلف . وقال أبو يعلى الخليلى فى الارشاد عن محمد بن أحمد الشروطى (أنه قال للطحاوى : لم خالفت مذهب خالك ؟ واخترت مذهب أبى حنيفة ، فقال لأنى كنت أرى خالى يديم النظر فى كتب أبى حنيفة فلذلك انتقلت اليه) هكذا فى نقل البدر العينى وابن خلكان ، يعنى فبدأت أديم النظر فيها فاجتذبتنى الى المذهب كما حملت تلك الكتب خالى على الانحياز الى أبى حنيفة فى كثير من المسائل كما يظهر من مختصر المزنى ومخالفاته للشافعى فيه فى كثير من المسائل وقول الطحاوى نفسه فى سبب انتقاله هو الجدير بالتعويل . وباقى الحكايات لا تخلو من مأخذ سنداً ومتنا كما سبق ، فليأخذ القارىء بما يطمئن اليه بعد الالمام بأطراف هذا الحديث ، ومما يلاحظ هنا أن أبى عمران الذى يقال أن الطحاوى انتقل الى مجلسه تاركا مجلس خاله انما ولى قضاء مصر بعد القاضى بكار[1] وهو توفى سنة ٢٧٠ هـ بمصر بعد وفاة المزنى سنة ٢٦٤ هـ بمدة كبيرة ، وقد قال الذهبى فى تذكرة الحفاظ (٣ ــ ٢٩) . وأما ابن أبى عمران الحنفى[2] فكان

---

(١) قال ابن خلكان : كان أحمد بن طولون يدفع الى القاضى بكار فى العام ألف دينار سوى المقرر له فيتركها بكار بختمها ولا يتصرف فيها فلما دعاه ابن طولون لخلع الموفق من ولاية العهد امتنع . فاعتقله وطالبه بحمل الذهب فحمله اليه بختومه . وكان ثمانية عشر كيساً وفى كل كيس ألف دينار فاستحى ابن طولون عند ذلك من الملأ وقال أبو المحاسن : قلت هذا هو القاضى الذى فى الجنة رحمه الله ولم يعين قاض بدله الى وفاته اكتفاء بنيابة محمد بن شاذان الجوهرى عنه مدة اعتقاله . وترجمة بكار ـ غاية العظمة ، قال الطحاوى فى تاريخه الكبير : ما تعرض أحد لبكار فأفلح كما فى طبقات القرشى (ز) .

(٢) أحمد بن أبى عمران موسى بن عيسى البغدادى الامام أبو جعفر الفقيه قاضى الديار المصرية من أكابر الحنفية تفقه على محمد بن سماعة . وجدت عن عاصم بن على وطائفة . روى الكثير وهو شيخ الطحاوى مات فى المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بمصر . وثقة ابن يونس فى تاريخه كما فى حسن المحاضرة للسيوطى : وله كتاب الحجج (ز) .

قاضي الديار المصرية بعد القاضي بكار أ هـ • وأبو سليمان بن زبر الحافظ من كبار أصحاب الطحاوى قد حكى من لفظه ما سبق ذكره مع السند اليه فيكون الاعتماد على حكاية ابن زبر والشروطى لكون قولهما متلقى من الطحاوى مباشرة • والله أعلم • والذى حكاه ابن حجر فى اللسان : (أنه كان أولا على مذهب الشافعى ثم تحول الى مذهب الحنفية لكائنة جرت له مع خاله المزنى : وذلك أنه كان يقرأ عليه فمرت مسألة دقيقة فلم يفهمها أبو جعفر فبالغ المزنى فى تقريبها له فلم يتفق ذلك فغضب المزنى متضجراً ، فقال والله لا جاء منك شيء • فقام أبو جعفر من عنده وتحول الى أبى جعفر بن أبى عمران وكان قاضى الديار المصرية بعد القاضى بكار فتفقه عنده ولازمه انى أن صار منه ما صار • هـ) ثم حكى ما قاله أبو اسحاق الشيرازى فى الطبقات من قول يعزى الى الطحاوى بعد تصنيفه المختصر : (لو كان المزنى حيا لكفر عن يمينه) وقال شرحا لقوله هذا : يعنى الذى حلفه أنه لا يجيء منه شيء • فحول الماضى الى المستقبل كما ترى ، ثم قال : (وتعقب هذا بعض الأئمة بأنه لا يلزم المزنى فى ذلك كفارة لأنه على غلبة ظنه • ثم قال : ويمكن أن يجاب عن أبى جعفر بأنه أورد ذلك على سبيل المبالغة • ولا شك أنه تستحب الكفارة فى مثل ذلك ولو لم يقل بالوجوب ، وليس يخفى مثل ذلك على أبى جعفر • لكن قرأت بخط المنذرى أن الطحاوى انما قال ذلك كيما يعير المزنى • فأجابه بعض الفقهاء بأن المزنى لا يلزمه الحنث أصلا لأن من ترك مذهب أصحاب الحديث وأخذ بالرأى لم يفلح • هـ) وهذا تصرف طريف من ابن حجر • وفيه كثير من العبر • ومن المعلوم أن الغباء الفطرى قلما يتحول الى ذكاء بممارسة العلم • وكتب الطحاوى شهود صدق على ذكائه الفطرى • ومثله لا يكون ممن لا يفهم المسألة مهما بولغ فى تقريبها ، كما أن المزنى لا يستعصى عليه بيان مسألة بحيث لا يفهمها مثل الطحاوى فى اتقاد ذهنه • على أن المزنى ممن ورث رحابة الصدر والصبر أمام تلاميذه من امامه العظيم البالغ الذكاء ، الصابر على تعليم من فى فهمه بطء

من أصحابه . وقد حكى أبو بكر القفال المروزى فى فتاواه : (أن الربيع المرادى ــ راوية المذهب الجديد ــ كان بطىء الفهم فكرر عليه الشافعى مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياء ، فدعاه الشافعى فى خلوة وكرر عليه حتى فهمه) ــ كما نقله ابن السبكى ــ فمن البعيد أن لا يصبر المزنى مع الطحاوى فى التعليم ، وهو ابن أخته ، ويتسرع فى الحلف بتلك الصورة البعيدة عن الاتزان ، وأما دعوى أنهم هم أهل الحديث دون الآخرين فشنشنة تعودنا أن نسمعها من أفواه أناس فقدوا سلامة التفكير ، فلو فكروا جيداً فى مبلغ توسع أصحابهم فى قياس الشبه والمناسبة ورد المرسل ، مع التساهل فى قبول الأحاديث عن كل من هب ودب ، ودرسوا جيداً مسند أبى العباس الأصم لأقلعوا عن ادعاء أنهم هم الذين يأخذون بالسنة دون سائر الطوائف من فقهاء هذه الأمة ، وليس بين طوائف أهل السنة من لا يتخذ الحديث ثانى أصول الاستنباط لكن بعد تصفيته بمصفاة النقد القويم متناً وسنداً ، لا باسترسال فى قبول مرويات النقلة من غير بحث ولا تنقيب عن كل ما ورد فى البحث الموضوع على مشرحة التمحيص والله ولى الهداية .

***

سعة دائرة رواية الطحاوى عن شيوخ عصره

من اطلع على تراجم شيوخ الطحاوى علم أن بينهم مصريين ومغاربه ويمنيين وبصريين وكوفيين وحجازيين وشاميين وخراسانيين ومن سائر الأقطار فتلقى منهم ما عندهم من الأخبار والآثار ، وقد تنقل فى البلدان المصرية وغير المصرية لتحمل ما عند شيوخ الرواية فيها من الحديث وسائر العلوم ، وكان شديد الملازمة لكل قادم الى مصر من أهل العلم من شتى الأقطار ، حتى جمع الى علمه ما عندهم من العلوم ، وسمع من أصحاب ابن عيينة وابن وهب وهذه الطبقة وخرج الى الشام

فسمع ببيت المقدس وغزة وعسقلان وتفقه بدمشق على القاضى أبى خازم عبد الحميد كما تفقه بمصر على ابن أبى عمران وبكار بن قتيبة وكان يتردد الى القضاة الواردين الى مصر يستقى ما عندهم من العلوم حتى أصبح واحد عصره فى تحقيق المسائل ، وتدقيق الدلائل بحيث يرحل اليه أهل العلم من شتى الأقطار ليستمتعوا بغزير علومه على اختلاف مسالكهم ومذاهبهم ، وكانوا يتعجبون جداً من سعة دائرة استبحاره فى شتى العلوم ، قال ابن زولاق فى قضاة مصر : حدثنى عبد الله بن عمر الفقيه سمعت أبا جعفر الطحاوى يقول كان لمحمد بن عبدة القاضى مجلس للفقه عشية الخميس يحضره الفقهاء وأصحاب الحديث فاذا فرغ وصلى المغرب انصرف الناس ولم يبق أحد الا من تكون له حاجة فيجلس ففى ليلة رأينا الى جنب القاضى شيخا عليه عمامة طويلة وله لحية حسنة لا نعرفه فلما فرغ المجلس وصلى القاضى التفت فقال يتأخر أبو سعيد يعنى الفارابى وأبو جعفر وانصرف الناس ثم قام يتركع فلما فرغ استند ونصبت بين يديه الشموع ثم قال : خذوا فى شىء فقال ذلك الشيخ : أيش روى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أمه عن أبيه ؟ فلم يقل أبو سعيد الفارابى شيئا ، فقلت أنا : حدثنا بكار بن قتيبة ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن عبد الأعلى الثعلبى عن أبى عبيدة بن عبد الله عن أمه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ان الله ليغار للمؤمن فليغر) قال : فقال لى ذلك الشيخ أتدرى ما تتكلم به ؟ فقلت أيش الخبر ؟ فقال لى : رأيتك العشية مع الفقهاء فى ميدانهم ، ورأيتك الساعة فى أصحاب الحديث فى ميدانهم وقل من يجمع ما بين الحالتين . فقلت : هذا من فضل الله وانعامه فأعجب القاضى فى وصفه لى ، ثم أخذنا فى المذاكرة . أ هـ . وأبو سعيد هذا هو محمد بن عقيل الفريابى يعد فى كبار فقهاء الشافعية من أصحاب المزنى ولم يكن يسعه غير السكوت أمام الطحاوى المستبحر فى العلوم ، وبهذا العلم الواسع تمكن من تأليف كتب لا نظير لها بين مؤلفات أهل عصره ، وكان الحامل له على استجماع الروايات ما لمس فى منهجه الجديد من الحاجة الماسة

فى استعراض جميع ما ورد فى كل موضـوع فقهى من خبر مرفـوع أو موقوف وأو مرسل أو أثر من السلف أو رأى منهم بأسانيد مختلفة المراتب ليستخلص من بينها الحـق الصراح ، لأن من قصر فى جمـع الروايات واكتفى بخبر يعـده صحيحا لا يكون وفى العلم حقـه لأن الروايات تختلف زيادة ونقصـا ومحافظة على الأصـل ورواية بالمعنى واختصارا فلا تحصل طمأنينة فى قلب الباحث الا باستعراض جميعها مع آراء فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم فيتمكن بذلك من رد المردود وتأييد المقبـول . وهذا ما فعله الطحـاوى فى كتبه وقد أهله علمـه الواسع لحمل هذه الأعباء المضنية بمقدرة فائقـة أثارت نفوس بعض المخالفين فتقولوا عليه فازداد رفعة عند الله وعند الناس ، ولولا هـذه الهمة القعساء عنده لكان فى امكانه أن يكتفى بكتاب من كتب الصحاح أو السنن فيعكف عليه وحده ظانا أنه هو العلم كله . لكن مواهبه أبت الا هذا الاعتلاء . ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء ، وزيادة على هـذا له منهج حكيم فى ترجيح الروايات بعضها على بعض من غير اكتفاء بنقد رجال الأسـانيد فقط . وهو دراسة الأحكام المنصوصة وتبيين الأسس الجامعة لشتى الفروع من ذلك فاذا شـذ الحكم المفهوم من رواية راو عن نظائره فى الشرع يعد ذلك علة قادحة فى قبول الخبر ، لأن الأصل الجامع لشـتى الفروع والنظـائر فى حكم المتواتر وانفراد راو بحكم مخالف لذلك لا يرفعه الى درجة الاعتداد به ، مع هذه المخالفة الصارخة. وهو أجاد تطبيق هذه القاعدة الحكيمة فى كتبه جد الاجادة ، وليس هذا ترجيحا لخبر على خبر بموافقة القياس كما ظن على ما شرحت ذلك فى (الاشفاق) وغيره ، ولم يكتف بمجرد نقد الرجال علما منه بمبلغ اختلاف النقاد حتى فى أشهر مشهورى حملة الآثار ، ولذا وجد النظار من المتكلمين من غير أهل السنة ما يتخذونه وسـيلة الى اعلال رواياتهم فى كتب أمثال الكرابيسى وابن أبى خيثمة وابن معين وابن المدينى وغيرهم ممن أطلقـوا لسان النقد فى كثير من الأجـلة كما يظهر من كتـاب

أبى القاسم الكعبى وكتاب الصاحب بن عبادة فى ذلك ، فالطحاوى لم يكتف بهذا النقد القابل للمعارضة . بل سلك منهجا نخيره أصحابنا ، وسار سيرهم فيه وهو عدم اهمال ناحيـة موافقـة حكم الخبر لنظائره أو مخالفته لها . وهذه طريقة بديعة تركها المتأخرون ، وهى محفـوظة بجدتها فى كتب الطحاوى وبروعتها ويرعاها فى بحوثه بحيث لو تتبعها المتفقه نمت ملكته وانكشفت مواهبه ، وليس ذلك من جهله بأحـوال الرجال ، بل كان ما قاله أصـحاب الشـأن فى رجال الرواية على طرف لسانه ، ومبلغ سـعة علمه فى الرجال يظهر عنـد كلامه فى الأحاديث المتعارضة فى كتبه . وكتابه الكبير فى تاريخ الرجال موضع ثناء أهل العلم ، وان لم نطلع عليه لكن رأينا كثيراً من النقول عنه فى كتب أهل الشأن مما يدل على زاخر علمه فى هذا الباب ، وليس ترجيحه لرواية على أخرى لموافقة احداهما للأصـول الجامعة دون الأخرى من قبيل الترجيح بموافقة القياس بل رد لمـا لا نظير له فى الشرع بالشذوذ ، وهو أخذ بأقوى الحجج ، ولا يهمل الكلام فى الرجال أصلا كما تجد مصداق ذلك فى معانى الآثار ومشـكل الآثار وغيرهما من مؤلفـاته الخالدة ، ومن زعم خلاف ذلك فقد قصر فى التنقيب ورمى بدائه غيره والله المسـتعان .

بعض أنباء الطحاوى لدى القضاة والحكام

ذكر ابن زولاق أن الطحاوى أراد مقاسـمة عمـه فى الربع الذى بينهما فحكم له القاضى بالقسمة وأرسل اليه بمال يستعين به فى ذلك ، ووافـق ذلك املاكا فى مجلس أحمـد بن طولون فحضره أبو جعفر الطحـاوى وقرأ الكتاب وعقـد النكاح فخرج خادم بصينية فيها مائة دينار وطيب فقال : كم القاضى . فقال القاضى كم أبى جعفر ، فألقاها فى كمه ، ثم خرج الى الشهود ، وكانوا عشرة بعشر صوان والقاضى يقول : كم أبى جعفر ، ثم خرجت صينية أبى جعفر ، فانصرف أبو جعفر

في ذلك اليــوم بألف ومائتى دينار ســوى الطيب ، قال ابن زولاق حدثنى عبد الله بن عثمان قال : سمعت أبا جعفر الطحاوى يقول : كانت لأبى الجيش ابن أحمد بن طولون أمير مصر شهادة فحضر الشــهود ، وكان كلما كتب شاهد شهادته قرأها الأمير والقاضى ، وكان كل شاهد يكتب : أشهدنى الأمير أبو الجيش بن أحمــد بن طولون مولى أمير المؤمنين ، قال أبو جعفر : فلما شــهدت أنا كتبت : أشــهد على اقرار الأمير أبى الجيش بن أحمــد بن طولون مولى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وأدام عزه وعلوه بجميع ما فى هــذا الكتاب ، فلما قرأه الأمير قال للقاضى : من هــذا ؟ قال هــذا كاتبى فقــال : أبو من ؟ قال : أبو جعفر ، فقال : وأنت يا أبا جعفر فأطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، قال : فقمت بسبب ذلك محســوداً من الجمــاعة . قال ابن زولاق : فلم يزل محمــد بن عبدة وأصحابه (يســعون) فأغروا به نائب هارون ابن أبى الجيش فاعتقل أبا جعفر الطحاوى بسبب اعتسار الأوقاف . قال ابن زولاق : وسمعت أبا الحسن على بن أبى جعفر الطحاوى يقول : ســمعت أبى يقول وذكر فضل أبى عبيدة بن حربوية وفقهه فقــال كان يذاكرنى بالمســائل ، فأجبته يوما فى مســألة فقال لى . ما هــذا قول أبى حنيفة ، فقلت له : أيها القاضى أو كل ما قاله أبو حنيفة أقول به ؟ فقال : ما ظننت الا مقلدا فقلت له : وهل يقلد الا عصبى ؟ فقال لى أو غبى . قال : فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثــلا وحفظها الناس . قال : وكان الشهود ينفسون على أبى جعفر بالشهادة لئلا يجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة فلم يزل أبو عبيد فى سنة ٣٠٦ هـ حتى عدله بشهادة أبى القاسم مأمون ومحمد بن موسى ســقلاب فقبله وقدمه وكان أكثر الشهود فى تلك السنة قد حجوا وجاوروا بمكة فتم لأبى عبيد ما أراد من تعديله ، وكان لأبى عبيد فى كل عشية مجلس لواحد من الفضلاء يذاكره وقد قسم أيام الأسبوع عليهم منها عشية لأبى جعفر فتال له فى بعض كلامه ما بلغه عن أمناء القاضى وحضة على محاسبتهم فقال

القاضى أبو عبيد : كان اسماعيل بن اسحاق لا يحاسبهم فقال أبو جعفر قد كان القاضى بكار يحاسبهم ، فقال القاضى أبو عبيد : كان اسماعيل .. وقال (أبو جعفر) قد حاسب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمناءه وذكر له قصة ابن الأتبية[1] فلما بلغ ذلك الأمناء لم يزالوا حتى أوقعوا بين أبى عبيد وأبى جعفر وتغير كل منهما للآخر وكان ذلك قرب صرف أبى عبيد عن القضاء قال : فلما صرف أبو عبيد عن القضاء أرسل الذى ولى بعده الى أبى جعفر بكتاب عزله قال فحدثنى على بن أبى جعفر قال فجئت الى أبى فهنأته فقال لى أبى ويحك أهـذه تهنئة ؟ . هـذه والله تعزية ، من أذاكر بعده أو من أجالس ؟ . قال ابن زولاق : ولما تولى عبد الرحمن بن اسحاق الجوهرى القضاء بمصر كان يركب بعـد أبى جعفر وينزل بعده فقيل له فى ذلك ، فقال هذا واجب لأنه عالمنـا وقدوتنا وهو أسن منى باحدى عشرة سنة ولو كانت احدى عشرة ساعة لكان القضاء أقل من أن أفتخر به على أبى جعفر ولمـا ولى أبو محمـد عبد الله بن زبر قضاء مصر وحضر عنده أبو جعفر الطحاوى فشهد عنده ، أكرمه غاية الاكرام وسأله عن حديث ذكر أنه كتبه عن رجل عنـه من ثلاثين سنة فأملاه عليه . وقال وحدثنى الحسين بن عبد الله القرشى قال : وكان أبو عثمان أحمد بن ابراهيم بن حماد فى ولايته القضاء بمصر يلازم أبا جعفر الطحاوى يسمع عليه الحديث فدخل رجل من أهل أسـوار فسأل أبا جعفر عن مسألة ، فقال أبو جعفر : من مذهب القاضى أيده الله كذا وكذا ، فقال : ما جئت الى القاضى انما جئت اليك ، فقال له : يا هذا ، من مذهب القاضى ما قلت لك . فأعاد القول . فقال أبو عثمان تفتيه أعزك الله فقال : اذا أذنت أيدك الله أفتيته فقـال : قد أذنت ، فأفتاه ، قال : فكان ذلك يعد فى فضل أبى جعفر وأدبه . أ هـ . وكان

---

(1) بالهمزة رواية والمشهور باللام بضم فسـكون وقيل بفتحتين . وبنو لتب من الأزد وحديث ابن اللتبية عبد الله فى استعماله على صدقات بنى سـليم وبنى ذبيـان فى صحيح البخارى فى الجمعة والزكاة والحيـل والأحكام (ز) .

أبو عبيد فى غاية المعرفة بالاحكام . وأبو عثمان القاضى حفيد اسماعيل القاضى كان ملكيا كجده ولم يكن اختلاف المذاهب يؤثر فى تواصل هؤلاء العلماء أصحاب النفوس الطاهرة وتلك الأنباء تكشف عن مبلغ التصافى بين علماء ذلك العهد رحمهم الله تعالى .

يقال أن أمير مصر أبا منصور تكين الخزرى الشهير بالجبار دخل على الطحاوى يوما . فلما رآه داخله الرعب ، فأكرمه الأمير وأحسن اليه ثم قال له : يا سيدى ، أريد أن أزوجك ابنتى ، فقال له : لا أفعل ذلك ، فقال له : ألك حاجة بمال ؟ قال له : لا قال : فهل أقطع لك أرضا ؟ . قال : لا . قال : فاسألنى ما شئت ، قال : وتسمع ؟ قال : نعم . قال : احفظ دينك لئلا ينفلت ، واعمل فى فكاك نفسك قبل الموت واياك ومظالم العباد . ثم تركه ومضى فيقال أنه رجع عن ظلمه لأهل مصر كما فى تحفة الأحباب . هكذا كانت معاملة الطحاوى مع حكام مصر ، يأبى المصاهرة ويأبى انعامهم بالمال أو الاقطاع ويأبى قبول قضائهم لأى حاجة له ، بل ينصحهم بما ينفعهم فى الدنيا والآخرة . وأين هذا ممن يزوج بناته الثلاث للمماليك تزلفا اليهم : ثم يطول لسانه فى مثل الطحاوى .

***

كلام بعض الناس فى الطحاوى

وقد سبق ذكر كلمات أهل العلم فى الثناء على أبى جعفر الطحاوى بما هو جدير به وشهادة أهل الشأن بثقته وديانته ، وحفظه وأمانته ، وفهمه وفطانته . ومن أمثال أبى سعيد بن يونس الحافظ ، وأبى سعد السمعانى ، وابن الجوزى ، وسبطه ، وابن عبد البر ، والذهبى وابن كثير وغيرهم فلا داعى الى اعادة ذكرهم ، ومع ذلك لم يسع بعض المتعصبين أن لا ينالوا منه ليخفضوا منزلته العالية . لكن ما زادوا فى مقامه السامى الا علوا وارتفاعا ، ولا فى نفوسهم المريضة الا انخذالا واتضاعا .

سامحهم الله وألهمه الصفح عن هؤلاء المرضى فى عقولهم ودياناتهم ، وفى ثقتهم وأماناتهم ، فأقول : قال أبو بكر البيهقى فى أول كتاب معرفة السنن : (وحين شرعت فى كتابى هذا جاءنى شخص من أصحابى بكتاب لأبى جعفر الطحاوى ، فكم من حديث ضعيف فيه صححه لأجل رأيه ، وكم من حديث صحيح ضعفه لأجل رأيه) هكذا قال البيهقى فى معرفة السنن وهى المعروفة بالسنن الوسطى . وقد قال الحافظ عبد القادر القرشى فى كتابه الجواهر المضيئة فى كتاب الجامع منه (٤٣١) معلقا على هذه الكلمة : وحاش لله أن الطحاوى رحمه الله تعالى يقع فى هذا . فهذا الكتاب الذى أشار اليه هو الكتاب المعروف بمعانى الآثار — وبعد أن توسع الحافظ القرشى فى بيان ما صنعه فى تخريج أحاديثه باشارة شيخه — قال : ووالله لم أر فى هذا الكتاب شيئا مما ذكره البيهقى عن الطحاوى وقد اعتنى شيخنا .. ووضع كتابا عظيما نفيسا على كتاب السنن الكبير له وبين فيه أنواعا مما ارتكبها من ذلك النوع الذى رمى به البيهقى الطحاوى فيذكر حديثا لمذهبه وفى سنده ضعيف فيوثقه . ويذكر حديثا على مذهبنا وفيه ذلك الرجل الذى وثقه فيضعفه . ويقع هذا فى كثير من المواضع . وبين هذين العملين مقدار ورقتين أو ثلاثة . وهذا كتابه موجود بأيدى الناس ، فمن شك فى هذا فلينظر فيه . وكتاب شيخنا كتاب عظيم لو رآه من قبله من الحفاظ لسأله تقبيل لسانه الذى تفوه بهذا كما سأل أبو سليمان الدارانى أبا داود صاحب السنن أن يخرج اليه لسانه حتى يقبله . والقصة مشهورة ثم قال القرشى : يقول الناس أن الشافعى له فضل على كل أحد ، والبيهقى فضله على الشافعى ، فوالله ما قال هذا من شيم توجه الشافعى وعظمته ولسانه فى العلوم ولقد أخرج الشافعى بابا من العلم ما اهتدى اليه الناس من قبله . وهو علم الناسخ ، والمنسوخ ، وعليه مدار الاسلام أ هـ . وكتاب شيخه هو الجوهر النقى فى الرد على سنن البيهقى طبع أولا وحده فى حيدر آباد الدكن ثم طبع مع السنن الكبرى . وأما

معرفة السنن فلم تطبع بعد ، وهي موجودة بمكتبة رواق المغاربة بالأزهر والبيهقي[1] وان أساء الى نفسه بهذا الصنيع المكشوف الدخائل لكنه أحسن الى العلم من حيث ان صنعه ذلك أدى الى تأليف الجوهر النقي النافع للغاية .

والبيهقي رحمه الله له كتب نافعة . لكن في معيار نقده خلل يدعو الى التبصر في الاستسلام له ، كما يتيقن بذلك من طالع الكتابين الأصل والنقد . فيجد الردود الموجهة اليه غاية الوجاهة ازاء اساء ملموسة . في حين أن كلامه في الطحاوي كلام مرسل على عواهنه ، والحاوي في تخريج أحاديث الطحاوي للحافظ عبد القادر القرشي . ونخب الأفكار ومعاني الأخبار للبدر العيني قامت بتمحيص الحق في ذلك وهذا المقام لا يتسع لأكثر من هذا . ثم تكلم ابن تيمية في منهاجه وقال في حق الطحاوي : (ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم ، ولهذا روى في شرح معاني الآثار الأحاديث المختلفة . وانما رجح ما يرجحه منها في الغالب من جهة القياس الذي رآه حجة ويكون أكثره مجروحا من جهة الاسناد ولا يثبت فانه لم يكن له معرفة بالاسناد كمعرفة أهل العلم به وان كان كثير الحديث فقيها عالما أ هـ) . فتراه يحكم عليه هذا الحكم القاسي لأنه صحح حديث رد الشمس لعلي كرم الله وجهه . فيكون الاعتراف بصحة هذا الحديث ينافي انحرافه عن علي رضي الله عنه . وتبدو على كلامه آثار بغضه لعلي عليه السلام في كل خطوة من خطوات تحدثه عنه . ولا مجال لرد حديث أسماء في ذلك من جهة الصناعة الحديثية لكن حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة في المطالب العلمية ، ومعرفة الطحاوي بالعلل لا يتجاهلها الا من اعتل بعلل لا دواء لها وقد جمع أهل العلم بالحديث طرق هذا الحديث قديما وحديثا وحكموا

(١) وليس عند البيهقي رواية جامع الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه ومسند أحمد وجل روايته من كتاب علي بن حشاد كما ذكرت في مقدمة الأسماء والصفات له (ز) .

عليه بالصـحة ، رضى ابن تيمية أم لم يرض منهم أبو القاسم العامري الحاكم النيسابوري الحافظ ، وللسيوطى جزء خاص فى ذلك وكذا لمحمد بن يوسف الصالحى ، ومن القائلين بصحة ذلك الحديث القاضى عياض فى (الشفا فى تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم) لكن لا مجال لرفع الغشاوة عن أبصار المنحازين الى الخوارج نسأل الله السـلامة .

وعادة ابن تيمية أنه اذا رأى مسألة واحدة لبعض أهل العلم يجعلها قاعدة كلية عنده فيعزو الى ذلك الناطق بتلك المسـألة الواحدة كليا خياليـا واستيلاد الكلى من الجزئى منطق طريف ينفرد هو به . على أن ما ظن أنه ترجيح بموافقة القياس ترجيح بعـدم الشـذوذ عن موارد الشرع كما سبق ، ثم الكلام فى الأحاديث المختلفة بالتحدث عن رجالها جرحا وتعديلا لا يخلو عنه بحث من بحوث كتابه ، وكتابه بين أيدى أهل العلم فمثل هذا التهجم ازاء الحقائق المـاثلة لا يصدر ممن يحترم نفسه ، ولو أخذنا نسرد كلامه فى الرجال من ثنايا كتبه لطال بنا الكلام جـدا وخرجنا عن الموضوع ، ومن الذى رد على كتاب المدلسين للكرابيسى[1] سواء ؟ أهذا شـأن من يجهل علم الرجال ؟ والجاهل بالرجال هو الذى يكتب أبو بكر الصامت الحنبلى فى أغلاطه فى الرجال جزءا مع تخيره اليه . وكتب الطحاوى شهود صدق على علمه الواسع بالرجال ثم ان ابن حجر العسقلانى لم يرض الا أن يذكر الامام الطحاوى فى لسـان الميزان وبهذا آذى نفسه قبل أن يؤذى الطحاوى لشذوذه عن جماعة أهل العلم فى الثناء عليه ، وهو كما يقول أبر أصحابه له الحافظ السـخاوى فى تعليقاته على الدرر الكامنة لا يستطيع أن يترجم لحنفى الا باخسـا لحقه . ومنتقصا لشأنه ، وفى هوامش الدرر كثير من كلام السـخاوى فى ذلك ، فبهذا يتبين صواب ما قاله المحب بن الشحنة فى ابن حجر الا أنه لا يعول على كلامه فى حنفى متقدم ولا متأخر لبالغ تعصبه . وقد

---

(۱) ومعلوم مبلغ تضايق الامام احمد من هذا الكتاب لاعطائه سلاحا للخصـوم (ز) .

ترجم ابن حجر للطحاوى فى لسان الميزان مستدركا على الذهبى ترجمة واسعة ليدس فى خلالها هذه الكلمة نقلا عن مسلمة بن القاسم عن ابن الأحمر التاجر الرحـال : (دخلت مصر قبل الثلاثمائة ، وأهـل مصر يرمون الطحاوى بأمر عظيم فظيع) فيقول ابن حجر شرحا لتلك الكلمة : يعنى من جهة أمور القضاء أو من جهة ما قيل ، أنه أفتى به أبا الجيش فى أمر الخصـيان أ هـ ـ كبرت كلمة تخـرج من أفواههم ، تراه يلوح ولا يصرح لتذهب نفس السامع الى كل سوء بشأنه ، وليسىء الى سمعته الطيبة . أهكذا يكون الجرح والتعديل عند أهل النقد ؟! ، ومن هؤلاء الذين كانوا يرمونه من أهل مصر ؟ فليذكر واحدا أو اثنين منهم بدل أن يعزو هذا الرمى الى جميع أهل مصر ليمكن الناظر فى حال الرامين الذين لا يكونون عشر معشار أهل مصر ، وما هذا الأمر الفظيع الذى يسـاق لتشويه سمعته ؟ وماذا يفيد خبر المجاهيل فى أمور مجهولة غير الكشف عن جهل مسجلة بملء شـدقيه وعن طويته بين جنبيه ؟ . أكان الطحاوى قاضيا حتى يصبح رميه بأمور تتعلق بالجور فى القضاء ؟ وهـو الذى كان يحض القاضى على محاسبة الأمناء ، صونا للحقوق عن الضياع ، وايصالا لها الى أصحابها . فيثورون ويفورون ويدبرون تدابير ضده من غير أن يحيق المكر السىء الا بأهله كما سـبق وليس الفاجر يسـتفتى العلماء فى استباحة الفجور ، ولم يكن الطحاوى من الطراز الذى يخص أميرا أو وزيرا بفتيا . وكتاب السر يعزى الى غيره . وقد رددت على المعرى فريته السخيفة فى موضعه وبهت الأشرار على الأبرار ، لا يأخذ به نيلا منهم الا مثلهم . وكان الطحاوى رضى الله عنه من أشد العلماء ردا على مبيحى الاثفـار . راجع معانى الآثار (٢ ـ ٢٣) بخـلاف ابن حجر فانه قوى ثبوت القول به فى التلخيص الحبير (٣٠٧) وهـذا مما يندى جبين العالم خجلا ، لكن من لم يأب التغزل فى الغزلان وألف خمس رسائل فى هذا الشأن الا يأبى أن يلطخ الجباه الطاهرة بصنوف الأقذار من أهل الهذيان ، وهو يعلم تكـذيب كثير من علماء الأندلس

لمسلمة بن القاسم القرطبى ، وقول ابن الفرضى وغيره فيــه انه ضعيف العقل صاحب رقى ونير نحات حفظ عليه كلام سوء فى التشبيهات وقول الذهبى وغيره فيه انه ضعيف وما قيل انه كان من المشبهة ، فبرواية مثله الموهمة لا يطعن فيمن ثبتت أمانته وديانته ، وثقته وامامته ، الا من فى نفسه حاجة — حفظنا الله من شرور أنفسنا وألهمنا العدل فى كل الأمور وكان مسلمة أخذ مذهب المشــبهة عن شيخ السالمية أحمد بن محمـد ابن سالم البصرى المذكور حاله فيما علقناه على تبيين كذب المفترى . وليس فى استطاعة ابن حجر تبرئته من هذا المذهب الردىء . ومضرب المثل الســائر المصرى (فضحت نفسك بيديك) يعرفه ابن حجر جيدا وقد سجله الجمال بن عبد الهادى المعروف بابن المبرد فى كتابه عن القرن التاسع فى ترجمة ابن حجر ، وصيغة مثل ابن النديم بعيدة عن أن تكون صالحة للاحتجاج بها . راجع طبقات ابن الســبكى (٤ — ١٨) لتعلم رأى الشافعية فى لزوم الحد أو سقوطه . ولله الأمر من قبل ومن بعد . وأما قول الأستاذ أبى منصور عبد القاهر التميمى فى نقضه لكتــاب أبى عبد الله محمد بن يحيى بن مهدى الجرجانى فى ترجيح مذهبه : (واستقصى محمد بن جرير الطبرى الشروط فى كتاب على أصــول الشافعى وسرق أبو جعفر الطحاوى من كتابه ما أودعه كتابه وأوهم أنه من منتجات أهل الرأى) فدليل على صواب ما ادعاه الفخر الرازى من أهل مذهبه فيه من أنه « كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه » — راجع رسالة الرازى فى مناظرته لأهــل ما وراء النهر — فهل كان ابن جرير مصرى الدار يساكن الطحاوى حتى يتمكن الطحاوى من سرقة كتاب ابن جرير فى الشروط ؟ وكتب الطحاوى فى الشروط على مذهب أصحاب أبى حنيفة أفهل كان الكتاب المسروق مؤلفا على مذهب أبى حنيفة ؟! فان كان ابن جرير كتب كتابا فى الشروط فانما يكتبه على مذهبه الخاص لأنه مجتهد مطلق مستقل لا على مذهب أبى حنيفة ولا على مذهب الشافعى ودار ابن جرير فى طبرستان فى حوض بحر الخزر مدة وفى بغداد مدة ، وبعدهما عن مصر معلوم فيكون يتصور

أن يسرق أحدهما من الآخر خلسة ؟! وليس بين وفاتيهما مدة كبيرة تسع لاخفاء السرقة ، على أكبر تنزيل ، على أن كتاب الشروط المعزو الى ابن جرير باسم (أمثلة العدول) مما لا وجود له بين تراث السلف الا فى كتب التراجم . وأما كتب الشروط للطحاوى من صغير ومتوسط وكبير فمعروفة شرقا وغربا متداولة فى أيدى العلماء . ثم ان ابن جرير أطال المقام فى طبرستان وعندما عاد الى بغداد كان متهورا تحت سلطان الحشوية ببغداد يرمون بيته بأحجار ، ولا يتمكن من المحافظة على نفسه الا بحرس من الحكومة ، ويضطر فى بعض الأحوال أن يدفن بعض كتبه مثل اختلاف الفقهاء فلم يكن حرا طليقا فى نشر العلم فى عهد سطوة الحشوية وطال ذلك العهد هناك ؛ وأما الطحاوى فى مصر فكان موفور الكرامة يجله الكبير والصغير ويوالى القضاة الاستعانة بغزير علمه فى الفقه والحديث والتوثيق وتسجيل الشروط حتى سارت بتصانيفه وأنبائه الركبان فى جميع البلدان شرقا وغربا . أمثله يكون فى حاجة الى السرقة فى علم الشروط ؟ وقد تلقى علم الشروط من أمثال القاضى بكار[1] ، وبن أبى عمران ، وأبى خازم عبد الحميد[2] أصحاب أئمة علم الشروط بالبصرة والكوفة وبغداد ، فمهما أبعد بعض العلوم عن الحنفية لا يمكن ابعاد علم الشروط والتوثيق عنهم فانهم أئمة هذا العلم من عهد أبى يوسف وقبل عهده ، وما جرى بين ابراهيم بن الجراح وبين حماد بن زيد مسجل فى موضعه ، وقول يحيى بن أكثم فى شروط هلال الرأى وغيره من أهل البصرة معروف[3] ومن أحاط علما بذلك كله لا يتردد لحظة

---

(١) وله كتاب الشروط وكتاب المحاضر والسجلات وكتاب الوثائق والعهود وكتاب النقض على الشافعى (ز) .

(٢) وله كتاب المحاضر والسجلات وكتاب أدب القاضى وكان حاذقا فى عمل المحاضر والسجلات (ز) .

(٣) يوسف بن خالد السمتى صاحب أبى حنيفة هو أول من وضع كتاب الشروط وأول من جلب رأى أبى حنيفة الى البصرة فيما ذكره الساجى كما فى تهذيب التهذيب ، وقال ابن المدينى : يوسف بن خالد سقط حديثه من أجل الكلام كما ذكره عبدالله الأنصاري بسنده فى ذم الكلام ويعلم من ذلك أن اشتغال المرء بالكلام كان اذ ذاك يعد مسقطا لحديثه . وهذا من أغرب الموازين . راجع ما ذكرناه فى أوائل شروط الأئمة (ز) .

فى أن هذا الزعم نسج خيال التعصب وافتعال غير مدبر نسأل الله السلامة، وعلى كل حال فان كتاب أبى عبد الله الجرجانى وكتاب نقضه لأبى منصور عبد القاهر لا يخلوان من غلو واسراف فى القول على جلالة قدر مؤلفيهما، وأصاب ابن الصلاح حيث قال فيهما : (وكل واحد منهما لم يخل كلامه من ادعاء ما ليس له والتشنيع بما لا يؤبه به مع وهم كثير أتيـاه) • سامحهم الله تعالى وايانا بمنه وكرمه •

***

مؤلفات أبى جعفر الطحاوى

أما تصانيف أبى جعفر الطحاوى ففى غاية الحسن والجمع والتحقيق وكثير الفوائد ، ولم تحظ مصر بطبـع شىء منها سـوى رسالة صغيرة سبقتها بلاد فى طبعها ، رغم كون مصنفها من مفاخر وادى النيل ، ولو كان مثل هذا العالم فى الغرب لانتدب أهل الشأن لدراسة كتبه وتحقيقها رجالا خاصة ، بل نراهم يعملون هذا فى بعض رجال الشرق فى حين أننا أصبحنا بعداء عن تقدير مقادير الرجال • أغنياء بما نستقى من أدمغتنا فقط من غير أن نرى حاجـة الى البحث والتنقيب فى التراث الشرقى الفاخر ، مع محاولتنا التجديد فى كل شىء فلو زاحمناهم فى البحث والتعب وراء اجتلاء معارفنا ، وباعدناهم فى الموبقات وصنوف السقوط لانبعثنا من جديد • وما ذلك على الله ببعيد ، فمن مصنفات الطحاوى الممتعة كتاب معانى الآثار • فى المحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية يسوق بسنده الأخبار التى يتمسك بها أهل الخوف فى تلك المسائل ، ويخرج من بحوثه بعد نقدها اسنادا ومتنا ، رواية ونظرا بما يقتنع به الباحث المنصف المتبرىء من التقليد الأعمى ، وليس لهذا الكتاب نظير فى التفقيه وتعليم طرق التفقه وتنمية ملكة الفقه رغم اعراض من أعرض عنـه • ولذلك كان الأستاذ المغفور له شيخنا العـلامة محمد خالص الشروانى رحمه الله اختاره فى عداد كتب الدراسة مع الآثار للامام محمد بن الحسن الشيبانى • وكان لأهل العلم عناية خاصـة بتدريس كتاب معانى الآثار

وروايته وتلخيصه وشرحه والكلام فى رجاله ، فمن شراحه الحافظ أبو محمد المنبجى مؤلف اللباب فى الجمع بين السنة والكتاب — وقطعة من شرحه موجودة فى مكتبة أيا صوفيا بالآستانة — ومنهم الحافظ عبد القادر القرشى صاحب الحاوى فى تخريج أحاديث معانى الآثار للطحاوى — وقطعة منه موجودة بدار الكتب المصرية — وذكر القرشى فى قسم الجامع من طبقاته (٤٣١) سبب تأليفه . وقال : كان ذلك باشارة شيخنا الحجة علاء الدين المارديني لما سأله بعض الأمراء عن ذلك الوقت وقال له عندنا كتاب الطحاوى فاذا ذكرنا لخصمنا الحديث منه يقولون لنا : ما نسمع الا من البخارى ومسلم — فى كلام نحو هذا — فقال له شيخنا : والأحاديث التى فى كتاب الطحاوى أكثرها فى البخارى ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحفاظ — فى كلام نحو هذا — فقال له الأمير : أسألك أن تخرجه وتعزو أحاديثه الى هذه الكتب فقال له شيخنا : ما أتفرغ لذلك . ولكن عندى شخص من أصحابى يفعل ذلك وتكلم معه رحمه الله فى الاحسان الى وعظمنى عنده وجعلنى أمة فى هذا العمل . فحملنى الى الأمير وأحسن الى وأمدنى الأمير بكتب كثيرة كالأطراف للمزى وتهذيب الكمال له وغيرهما وشرعت فيه وكان ابتدائى فيه سنة (٧٤٠هـ) وأمدنى شيخنا بكتاب لطيف فيه أسماء شيوخ الطحاوى وقال لى : هذا يكفيك من عندى فحصل لى النفع العظيم أ هـ — الى آخر ما ذكره هناك ، وطريقته فى التخريج أنه يتكلم على أسانيده ويعزو أحاديثه وأسناده الى الكتب الستة والمصنف لابن أبى شيبة وكتب الحفاظ وهكذا . فخدم خدمة عظيمة فى هذا الباب ، ومن شراح الكتاب البدر العينى الحافظ ، وقد عنى بتدريسه سنين متطاولة فى المؤيدية — وكان المؤيد شيخ ملما بالعلم يناقش العلماء فى العلى حتى جعل لهذا الكتاب كرسيا خاصا فى جامعته كباقى أمهات كتب الحديث وعين لهذا الكرسى البدر العينى . فقام البدر بتدريس هذا الكتاب خير قيام مدة مديدة وألف شرحين ضخمين فخمين صورة ومعنى . أحدهما

نخب الأفكار فى شرح معانى الآثار • ويتعرض لتراجم رجال الكتاب فى صلب هذا الشرح كما فعل فى شرح صحيح البخارى • وهذا من محفوظات دار الكتب المصرية فى ثمانيــة مجلدات بخط المؤلف وبهـــا خروم • وتوجد بعض أجزاء منه فى مكتبة أحمــد الثالث فى طوبقبو ومكتبة (عموجة حسين باشا) بالآستانة • وألشرح الاخر هو مبــانى الأخبار فى شرح معــانى الآثار للبدر العينى • وهو محفوظ فى دار الكتب المصرية بخط المؤلف فى ستة مجلدات • وهو خلو من الكــلام فى الرجال حيث أفردهم فى تأليف ســماه معانى الأخيار فى رجال معانى الآثار فى مجلدين مع نقص فى نسخة دار الكتب المصرية ، يستدرك من نسخة مكتبة رواق الأتراك فى الأزهر الشريف• وخدمة البدر العينى لمعانى الآثار لا تقل عن خدمته لصحيح البخارى والله سبحانه يكافئه على تلك الخدمات الجسيمة ولا سيما فى تحقيق أحاديث الأحكام • وممن لخص معانى الآثار حافظ المغرب ابن عبد البر وبه امتلأ قلبه اجلالا للطحاوى ويكثر النقل عنه فى كتبه ولا سيما للتمهيد • ومن لخصه أيضا الحافظ الزيلعى صاحب نصب الراية • وملخصه محفوظ بمكتبه رواق الأتراك، ومكتبة الكوبريلى بالآســتانة وشرحه صاحب اللباب فى الجمــع بين السنة والكتــاب أيضا وهو محفوظ فى مكتبة أيا صوفيا فى الآستانة• ولمحمد بن محمد الباهلى المالكى كتاب تصحيح معانى الآثار محفوظ فى بانكوك كما ذكره بروكلمان ولم أطلع عليه• وكتاب معانى الآثار طبع عدة مرات فى الهند • لكن أين جمال الطبع المصرى من الطبــع الهندى ياحبذا لو طبعت تلك الكتب مع اعادة طبع المعانى الآثار بمصر بعناية خاصة • ويقول الطحاوى فى صــدر كتاب معانى الآثار (سألنى بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتابا أذكر فيه الآثار المــأثورة عن رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحكام التى يتوهم أهل الالحاد والضعفة من أهل الاسلام أن بعضها ينقض بعضا لقلة علمهم بناســخها من منسوخها وما يجب به العمل منها لمــا يشهد له من الكتــاب الناطق

والسنة المجتمع عليها . وأجعل لذلك أبوابا ، أذكر فى كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض واقامة الحجة لمن صح عندى قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو اجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم . وأنى نظرت فى ذلك وبحثت عنه بحثا شديدا فاستخرجت منه أبوابا على النحو الذى سأل وجعلت ذلك كتابا ذكرت فى كل كتاب منها جنسا من تلك الأجناس) فبهذا تعلم مبلغ ثقل ما قام بحمله الطحاوى وعظيم مقدار عمله رضى الله عنه وأرضـاه .

ومن مؤلفات الطحاوى أيضا بيان مشكل الحديث المعروف بمشكل الآثار فى نفى التضاد عن الأحاديث واستخراج الأحكام منها . وهو من محفوظات مكتبـة فيض الله شـيخ الاسـلام فى اصطنبول تحت أرقام (٢٧٣ — ٢٧٩) فى سبعة مجلدات ضخام . وهى نسخة صحيحة مقروءة من رواية أبى القاسـم هشام بن محمـد بن أبى خليفـة الرعينى عن الطحاوى ، قابلها وصححها ابن السابق المترجم له فى الضوء اللامع . والقسم المطبوع منه فى حيدر آباد فى أربعة أجزاء ربما لا يكون نصف الكتاب على سقم الطبع ، ومن أطلع على اختلاف الحديث للامام الشافعى رضى الله عنه ومختلف الحديث لابن قتيبة ثم اطلع على كتاب الطحاوى هذا يزداد اجلالا له ومعرفة لمقداره العظيم ، وكم كنا نود لو طبع بمصر تمام الكتاب من النسخة المذكورة وقد اختصر أبو الوليد بن رشد الجد كتاب مشـكل الآثار مع بعض اعتراضات منه عليه ، واختصاره محفوظ بدار الكتب المصرية ، واختصر هذا المختصر قاضى القضاة جميل الدين يوسف ابن موسى الملطى من شـيوخ البدر العينى فى كتاب سـماه (المعتصر من المختصر) فأجاد فى التلخيص والاجابة عما أورده ابن رشد .

وطبع المعتصر بالهند مع الخطأ فى اسم مؤلفه واسم مختصره . وهذا المعتصر نافع أيضا[1] .

واختلاف العلماء للطحاوى فى نحو مائة وثلاثين جزءا حديثيا . وقد اختصره أبو بكر الرازى . واختصاره هو الموجود فى مكتبة جار الله ولى الدين فى اصطنبول ، وأما الأصل فلم أظفر به ، وأما القطعة الموجودة بدار الكتب المصرية فهى من مختصر اختلاف علماء الامصار لأبى بكر الرازى وان نسبت غلطا الى الطحاوى ، وفى المختصر يذكر أقوال الأئمة الأربعة وأصحابهم وأقوال النخعى وعثمان البتى والأوزاعى والثورى والليث بن سعد وابن شبرمة وابن أبى ليلى والحسن بن حى وغيرهم من المجتهدين الأقدمين الذين صعب اليوم الاطلاع على آرائهم فى المسائل الخلافية ، فياليت الأصل بحث عنه وعن مختصره وطبع هو أو مختصره ، أو كلاهما .

وأحكام القرآن للطحاوى فى نحو عشرين جزءا . ويقول القاضى عياض فى الاكمال ان للطحاوى ألف ورقة فى تفسير القرآن ، وذلك هو أحكام القرآن له . وللطحاوى أيضا كتاب الشروط الكبير فى التوثيق فى نحو أربعين جزءا وقد طبع بعض المستشرقين جزءا منه ، وتوجد قطعة منه فى مكتبة على باشا الشهيد وأخرى فى مكتبة مراد ملا باصطنبول . من غير أن تتم بهما نسخة كاملة . وله أيضا الشروط الأوسط ومختصر الشروط له فى خمسة أجزاء محفوظ فى مكتبة شيخ الاسلام فيض الله وتدل تلك الكتب على براعة الطحاوى البالغة فى علم الشروط والتوثيق مهما تضايق من ذلك الأستاذ عبد القاهر التميمى .

---

(١) وممن اختصر مشكل الآثار ابن خلف الباجى ومختصره فى المتحف البريطانى وهو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى الامام المشهور ، ووهم بروكلمان فسماه سعيد بن خلف (ز) .

ومختصر الطحاوى فى الفقه فى المذهب على شاكلة مختصر المزنى فى مذهب الشافعى وهو محفوظ بمكتبة الأزهر ومكتبتى جار الله وفيض الله بالآستانة ولمختصر الطحاوى شروح أقدمها وأهمها شرح أبى بكر الرازى الجصاص غاية فى الاتقان دراية ورواية ، قطعة منه توجد بدار الكتب المصرية والباقى فى مكتبة جار الله بالآستانة ، ومنها شرح أبى عبد الله الحسين بن على الصيمرى ومنها شرح شمس الأئمة السرخسى : قطعة منه توجد فى مكتبة السليمانية والباقى فى مكتبة (شهزاده) بالآستانة ، ومنها شرح أبى نصر أحمد بن محمد المعروف بالأقطع شارح مختصر القدورى ومنها شرح أبى نصر أحمد بن منصور الخجندى الاسبيجابى الكبير ، ومنها شرح بهاء الدين على بن محمد السمرقندى الاسبيجابى الصغير ، وهما موجودان فى عدة مكتبات فى الآستانة ، والكبير فى مكتبة على باشا الشهيد ، والصغير فى مكتبة بنى جامع ، ومنها شرح أحمد بن محمد بن مسعود الوبرى وله غير ذلك من الشروح ،

وله أيضا النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء ، وكتاب النوادر والحكايات فى نحو عشرين جزءا ، وله جزء فى حكم أرض مكة ، وجزء فى قسم الفيء والغنائم ،

وله الرد فى خمسة أجزاء على كتاب المدلسين لأبى على الحسين ابن على الكرابيسى الذى أعطى حججا الأعداء أهل السنة بكتاب هذا حيث حاول فيه توهين الرواة من غير أهل مذهبه ليحيا هو فقط ومذهبه، وكلمة أحمد فى كتاب الكرابيسى هذا مذكورة فى شرح علل الترمذى لابن رجب فالطحاوى سد هذه الثلمة برده على الكرابيسى مشكورا فضله ، وقد ذكر كتاب المدلسين هذا الامام أحمد فذمه ذما شديدا ، وكذلك أنكر عليه أبو ثور وغيره من العلماء قال المروزى : مضيت الى

الكرابيسى وهو اذ ذاك مستور يذب عن السنة ويظهر نصرة أبى عبد الله فقال لى أن أبا عبد الله رجل صالح مثله يوفق لاصابة الحق وقد رضيت أن يعرض كتابى عليه قال وقد سألنى أبو ثور وابن عقيل وابن حبيش أن اضرب على هذا الكتاب فأبيت عليهم وقلت بل أزيد فيه ما سنح فى ذلك وأبى أن يرجع عنه فجىء بالكتاب الى أبى عبد الله وهو لا يدرى من وضع الكتاب وكان فى الكتاب الطعن على الأعمش والنصرة للحسن ابن صالح وكان فى الكتاب : أن قتلم أن الحسن بن صالح كان يرى رأى الخوارج فهذا ابن الزبير قد خرج فلما قرىء على أبى عبد الله قال هذا قد جمع للمخالفين ما لم يحسنوا أن يتبجحوا به حذروا عن هذا ونهى عنه أ هـ . وقال ابن رجب : وقد تسلط بهذا الكتاب طوائف من أهل البدع فى الطعن على أهل الحديث وكذلك بعض أهل الحديث ينقل منه دسائس اما يخفى عليه أمرها أو لا يخفى كيعقوب الفسوى وغيره أ هـ . وعلى مثل هذا الكتاب الخطر رد الطحاوى ردا موفقاً يشكر عليه . وله أيضا كتاب الأشربة حمله هشام الرعينى الى المغرب فيما حمل من كتب الطحاوى . وله أيضا جزءان فى الرد على عيسى بن أبان من أصحاب محمد بن الحسن . وجزء فى الرد على أبى عبيد فى النسب . وجزءان فى اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين وجزء فى الرزية . وله شرح الجامع الكبير للامام محمد بن الحسن الشيبانى وشرح الجامع الصغير له أيضا . وكتاب المحاضر والسجلات . وكتاب الوصايا والفرائض وكتاب التاريخ الكبير . قال ابن خلكان : وله تاريخ كبير ولقد اجتهدت فى تحصيله غاية الاجتهاد وما ظفرت به وكل من سألت عنه من أهل هذا الشأن جهلوا به أ هـ . لكن نرى كتب الرجال مكتظة بالنقل عنه . وله أيضا أخبار أبى حنيفة وأصحابه . وهو الذى يسميه بعضهم بمناقب أبى حنيفة . وله أيضا كتاب فى النخل وأحكامها وصفاتها وأجناسها وما روى فيها من خبر فى نحو أربعين جزءا وله العقيدة المشهورة[1] المسماة (بيان اعتقاد أهل

---

(1) عقيدة لها شروح منها شرح نجم الدين أبى شجاع بكبرس

السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة وأبى يوسف الأنصارى ومحمد بن الحسن) رحمهم الله • وله جزء فى التسوية بين حدثنا وأخبرنا • وقد لخصه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله وله أيضا كتاب سنن الشافعى جمع فيه ما سمعه من المزنى من أحاديث الشافعى عرفانا لجميله • والشافعية يروون تلك الأحاديث بطريقه كما سبق وللطحاوى كتاب (صحيح الآثار) محفوظ فى مكتبة باتنا كما ذكره بروكلمان ولم اطلع عليه •

وقد ألف ابن قطلوبغا الحافظ جزءا فى عوالى حديث الطحاوى وسمعه عند قبره وفعل مثل ذلك مع الليث بن سعد وبكار القاضى • والثلاثة محفوظة فى مكتبة برلين كما فى بروكلمان •

وتلك شذرة من فضائل هذا الامام الجليل • وهذا القدر من البيان كاف فى هذا الشأن •

بعض أسانيد أهل العلم فى كتب الطحاوى

فرواية المشارقة لكتاب معانى الآثار للطحاوى بطريق الحافظ أبى بكر محمد بن ابراهيم المقرىء الحنبلى صاحب مسند أبى حنيفة ومؤلف المعجم المشهور وبطريق أبى الفضل محمد بن عمر الترمذى كلاهما عن الطحاوى وأما رواية المغاربة فبطريق أبى القاسم هشام بن محمد بن أبى خليفة الرعينى عن الطحاوى • وهو حمل اليهم كتاب

ـــ الناصرى البغدادى من شيوخ الشرف الدمياطى ومنها شرح السراج عمر بن اسحاق الغزنوى ثم المصرى ومنها شرح محمود بن أحمد بن مسعود القونوى . ومنها شرح الصدر على بن محمد الأذرعى . وتلك الشروح توجد فى الخزانات بكثرة ولها شراح سوى ذلك . وطبع شرح لمجهول ينسب الى المذهب الحنفى زورا ينادى صنع يده بأنه جاهل بهذا الفن وأنه حشوى مختل العيار (ز) .

بيان مشكل الحديث المعروف بمشكل الآثار وكتاب الأشربة للطحاوى أيضا كما يظهر من فهرس أبى بكر بن خير الاشبيلى (٢٠٠ و ٢٦٢) وقد أطال السخاوى بيان ذكر أسانيده المتشعبة فى معانى الآثار سماعا، لخصها المحدث عبد القادر بن خليل المدنى خطيب المنبر النبوى المعروف بكدك زاده فى كتابه (المطرب المعرب الجامع لأسانيد أهل المشرق والمغرب) وساق أسانيد جمع من شيوخه الى الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى سماعا عليه ثم ذكر أسانيد السخاوى جماعة عن جماعة فى الكتاب الى الطحاوى رضى الله عنه ويطول الكلام لو نقلناها كلها فليرجع من شاء الى المطرب المعرب وهذا الثبت أرويه مكاتبة عن المحدث المعمر الحسين بن على العمرى اليمانى عن أحمد بن محمد بن يحى السياغى الصنعانى عن الحسن بن أحمد بن يوسف الرباعى الصنعانى عن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الأمير عن جامعه عبد القادر ابن خليل (ح) وأرويه مشافهة عن القاضى أبى طلحة محمد صدر الدين عن محمد بن سليمان الجوخدار عن سعيد الحلبى عن اسماعيل بن محمد المواهبى عن عبد القادر بن خليل المذكور • وساق البدر العينى فى شرح سنده رواية عن الزين تغرى برمش الفقيه عن الجلال الخجندى عن العفيف عبد الله الغبادى عن عبد الرحمن بن عبد الولى اليلدانى عن الضياء المقدسى والخشوعى ومحمد بن عبد الهادى عن أبى موسى المدينى سماعا على اسماعيل بن الفضل السراج عن أبى الفتح منصور ابن الحسن بن على عن أبى بكر بن المقرى عن الطحاوى ثم ساق العينى سنده بطريق العز بن جماعة وسندى اليه فى الاثبات التى رويتها فى التحرير الوجيز ـ راجع المعجم المفهرس لابن حجر واتحاف الأكابر وثبت محمد الأمير المصرى وغيرها • وساق أبو الوليد محمد بن رشد الجد سنده فى كتاب مشكل الحديث للطحاوى قائلا حدثنى به أبو على الحسين بن محمد الغسانى قال أخبرنا أبو عمر أحمد بن يحيى بن الحارث قال أخبرنا أبى قال أخبرنا أبو القاسم هشام بن محمد بن أبى خليفة

الرعيني عن أبي جعفر الطحاوى ، وأما العقيدة فقد قرأها عبد القادر القرشى على بدر الدين محمد بن منصور الجوهرى سماعا من بدر الدين محمد بن أيوب بن عبد القاهر الحلبى سماعا من ابن العديم أبى القاسم عمر بن أحمـد بن هبة الله قال أخبرنا أبو الخطـاب عمـر بن ايامك أنا الشريف النسابة محمد بن أسعد بن على الحسينى حدثنا أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب بن أحمد بن المقرى أخبرنا أبو الحسن العكلى قال أخبرنا أحمد بن القاسم بن ميمون العبيدلى أخبرنا جدى ميمون بن حمزة العبيدلى عن شيخه الطحاوى المؤلف رحمهم الله تعالى وايانا وغفر لنا ولهم ونفعنا بعلومهم • وكان عندى نسخة من العقيدة المذكورة بخط ابن العديم السابق ذكره وعليها تسميعات متوالية ، وهو معروف باجادة الخط المعروف بالمنسوب فغرقت مع ما كنت أستصحبه من الخطـوط النادرة وسائر الكتب فى حادث انقلاب مركبنا فى البحر الأسود تجاه (آقجة شهر) فى أحلك أيام الشتاء بهياج البحر ، وأنجانا الله سبحانه من الغرق المحقق بمحض فضله سنة ١٣٣٦ هـ أثناء عودى من قسطمونى الى الآستانة ولله الأمر وله الحكم : وذكر الكورانى سنده فى عقيـدة الطحـاوى فى الأمم (٩٠) بطريق الشرف الدميـاطى الى أبى بكر الدامغانى عن الطحاوى • ولو أخذت أسرد أسانيدى الى الاثبات التى ترفع أسانيد كتب الطحاوى اليه لطال ذلك وأمل فلنكتف بهذه الالمـامة اليسيرة •

***

وفاة الطحاوى ومدفنه وبعض أسرته

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة الطحاوى : (أنه توفى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ليلة الخميس مستهل ذى القعدة بمصر ، ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها) • وقال البدر العينى فى نخب الأفكار : (رأيت فى مجموع جمعه بعضهم عن علماء مصر ، يذكر أماكن وبقاعا من مصر وبعض علمائها يقول فيه : ان قبر أبى جعفر الطحاوى اذا جاوزت الخندق على يمين الطالع الى مسجد محمود وهو قبر كبير مشهور) أقول ان الكلام فى الخندق ومسجد محمود طويل وهما مشهوران فى التاريخ وكتب الخطط • ولكن تغيرت معالى ذلك العهد • وقبر الطحاوى اليومى يعرف بأنه فى شارع على يمين الشارع السالك الى الامام الشافعى موازياً له عند منتهى الترام الموصل الى الشافعى • ففى الشارع الأيمن الموازى لشارع الشافعى يوجد ضريح الطحاوى على اليمين تحت قبة أثرية حذاء شارع الطحاوية الذى هو على اليسار فى منتهى الترام • وعلى قبره شاهد مكتوب عليه تاريخه وعليه مهابة • وتحت القبة موضع خال لا شاهد عليه • ويظهر أن السيد أحمد الطحاوى مدفون هناك • حيث كان طلب فى حياته أن يسمح بدفنه هناك من المشرف على ضريح الطحاوى اذ ذاك ــ وهو المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى فسمح له بذلك كما فى تاريخه المشهور عند ترجمة الطحاوى • والأزد بفتح فسكون قبيلة مشهورة من قبائل اليمن • والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم فخذ من قبيلة الأزد • وهذه غير أزد شنوءة ويقال للأولى أزد الحجر تمييزاً لها عن الثانية • والطحاوى منسوب الى أزد الحجر هذه • وفى طحا اختلاف لكن الصواب فيما يظهر أن طحا التى نسب الطحاوى هى طحا أشمونين • وينسب الطحاوى جيزيا أيضا لسكناه بالجيزة • وكان أبوه من أهل الدين والخير وسمع الطحاوى من أبيه أيضا ووفاة والده كانت سنة ٢٦٤ هـ عام وفاة والده خاله اسماعيل المزنى • وأما ابنه على بن أحمد الطحاوى فمن أهل

الفضل والنبل أيضا تخرج على والده في العلوم وحكى القضاعى أن أبا الحسن على بن أحمد الطحاوى كان يشرف مع رفيق له على بناء مسجد بالجيزة بأمر الاخشيد واشارة الكافور ولما احتاجوا الى عمد للجامع آخذ رفيقه من عمد كنيسة بالجيزة من غير علم أبى الحسن وأقر ذلك أهل الشأن فترك أبو الحسن الطحاوى الصلاة فيه فيدل هذا على أن هذا الشبل من ذاك الأسد . وتوفى أبو الحسن الطحاوى فى ربيع الآخر سنة ٣٥١ هـ كما فى تاريخ ابن الطحان فى ظاهرية دمشق(١) . وترجم أبو المحاسن للطحاوى فى النجوم الزاهرة وقال : كان امام عصره بلا مدافعة فى الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو وصنف المصنفات الحسان وكان من كبار فقهاء الحنفية أ هـ رحمه الله وأعلى مقامه فى الجنة ونفعنا بعلومه . وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة بتوفيق الله سبحانه عصر يوم الثلاثاء ٢٤ من شهر شعبان المبارك من سنة ١٣٦٨ هـ بقلم الفقير اليه سبحانه محمد زاهد الكوثرى خادم العلم فى اصطنبول سابقا .

غفر الله لى ولوالدى ولمشايخى ولسائر المسلمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) وفى تاريخ ابن الطحان ما نصه : (على بن احمد بن سلامة بن سلمة الازدى الطحاوى ابو الحسن ، يروى عن النسائى وغيره حدثونا عنه ، توفى فى ربيع الاخرى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة أ هـ) على ما نقله لى الأخ العزيز الأستاذ الأديب السيد سعيد الافغانى الدمشقى فأشكره على تفضله بذلك (ز) .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٣٤١٢

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست .. تيبو
الأزهر : ٣ حيضان الموصلى بجوار جامع السدعاء
ت : ٥١١٥٣٠٤